مين ما يحبّهاش

شـــادية هـى

أجمل أطفال الســينما العربية. والأكثر براءة والأخف ظلا بين مراهقاتها. إنها «المَرَة» الأجمل.. ثم إنها أصدق من عبّر عــن الطبيعة المصرية وقضايا المصريين. فاســتحقت عن جدارة لقب «صوت مصر».

وشادية فى حياتى هى «السراب» الذى يحسبه الظمآن ماء.. مثل كل أطفال العرب. كنت أعشق أغانيها وأحفظها عن ظهر قلب. وأغنيها بمصاحبــة «عود فلاحــى» صناعة «قابيلية» فكنت أســرق «مطرحة» الخبيز وهى دائرة خشبية من شرائح خشبية ولها يد تمسكها الفلاحة لتقذف عجينة خبز الرغيف بها إلى داخل الفرن الفلاحى.

كنت أدق عند نهاية اليد مســامير صغيرة. وأمد عليها سلوكا على شــكل أوتار العــود ثم أثبت أطرافها الأخرى فى مســامير عند حافة الدائرة الخشبية. وألعب عليها بالأصابع وأغنى «واحد اثنين.. واحد اثنــين.. وأنا وياك يا حبيب العين» و«عجبانى وحاشــته عجبانى. بحبــه وهوه بيهوانى». و«أحبك.. أحبــك.. أعز الحبايب وعمرى ما أكابر وأقول وأنت حاضر وأقول وانت غايب.. أحبك.. أحبك»..

ولمــا عملت بالصحافة ســعيت لعمل حديث معهــا. ولم تكن من النجمــات المحبــات للصحافة. وأحاديــث الإعلام بصفــة عامة.. وأحاديثها محدودة جدا.

اتصلــت وألححت فى الاتصال فاســتجابت وكان اللقاء الأول فى سبتمبر ١٩٨٠ فى منزلها على نيل الجيزة أمام حديقة الحيوانات..

رفضــت موضــوع الحديث إلا أن إصرارى جعلها تســتجيب. فقد أردت أن أسجل مشوارها فى الحياة والفن على لسانها.

والحديث موجود. لكن ما لا يمكن تأجيله هو السر الذى ائتمنتنى عليه. وقد احترمت رغبتها فى عدم النشر فى حينه.

قالت إن من بين أزواجها كان الكاتب الصحفى الكبير مصطفى أمين الذى تزوجته لمدة ٤ سنوات. ورفضت أن تتكلم عن هذه العلاقة فى حياته حرصا على علاقته بزوجته. لكن بعد أن رحل إلى جوار ربه أصبح الكلام مباحا. قالت إن مصطفى أمين هو أستاذها ومعلمها الأول وقد استفادت كثيرا من ثقافته ومكتبته وطبيعته الخاصة. وتعلمت منه تحمل الكوارث فى الحياة. وقد قرأت كثيرا فى مكتبة بيتهما مما رفع مستوى تفكيرها وأحبت القراءة وأقبلت عليها بنهم وحب وشوق. وقالت إنها فى صالون منزلهما كانت تلتقى بتلاميذ زوجها وأصدقائه من كبار المثقفين ومنهم كامل الشناوى ومحمد عبد الوهاب وأنيس منصور وأحمد رجب وسعيد سنبل وغيرهم. وكان صالون البيت على موعد معهم جميعا مرتين كل أسبوع. وكانت تنهى عملها فى الأستوديوهات بسرعة لتعود بشوق للصالون. فالوقت مفيد وغير ضائع. وقد أثر ذلك فى شخصيتها وظهر فى اختيارها لأدوارها فى السينما والإذاعة وقالت إنها فخورة جدا بذلك.

□□□

بعد أن غنت خد بإيدى.. فى الليلة المحمدية الثالثة التى كانت إذاعة مصر تقيمها احتفالا بالمولد النبوى الشريف أصابها المرض اللعين فى ثدييها فسافرت إلى أمريكا للعلاج. وهناك طالت الغربة. فشعرت بوحشة كبيرة لمصر. وفى اتصال تليفونى بينها وبين صديق صحفى طلبت منه أن يكلف مؤلفا وملحنا بإعداد أغنية لها تسجلها عند عودتها بعنوان «احضن لى مصر».. تلك الجملة التى كانت شادية تنهى بها أى مكالمة تليفونية تصلها فى أمريكا من متحدث مصرى.

علمت بأمر اللحن المطلوب من صديقى فسارعت بطلب كلمات من الشاعر إبراهيم رضوان. وكنا قدمنا معا أغنية ناجحة فى احتفالات مصر بأعياد أكتوبر بعنوان «يا جريد النخل العالى» شارك فى غنائها محمد الحلو ومدحت صالح ونادية مصطفى ومنى عبد الغنى.

كتب إبراهيم:

احضن لى مصر وأراضيها　　مصر العزيزة وروح الروح

دى غنوتى اللى بغنيها　　دى دنيتى مطرح ما بروح

يا بلدى والأشواق بركان ... يا غنوة فى نبض الشريان
كان السفر موال باكى ... يا أم الحنان يا أم الإنسان
احضن لى مصر ... خدنى شراعك الفضى
فى كل بحر سبع مرات ... ورجعت ليكى وشرفنى
إنى ف حضنك تانى أبات ... يا قريبة مهما بنبعد
يا حنينة مهما بنقسى ... نرجع على بساطك نقعد
يا شط يا أعظم مرسى ... احضن لى مصر

□□□

ولما عادت شادية لمصر. وكنت قد سجلت موسيقى هذه الأغنية تمهيدا لتسجيل صوتها عليها. لكنها أعلنت اعتزالها الغناء. والفن والمجتمع. وكان حلم التلحين لشادية سرابا فى خيالى.

وربما كانت شادية قد أرادت أن تشعرنى بأن المانع من غناء ألحانى هو الاعتزال. فقد اقترحت على ياسمين الخيام عندما التقينا فى الحرم الشريف، بأن تغنى ياسمين «أسماء الله الحسنى» على أن يكون الملحن هو فلان (كاتب هذه السطور). ولما طلبت منى ياسمين ذلك. انتابتنى حالة من الخوف والتردد، خشية مقارنة لحنى باللحن الفولكلورى المعروف بصوت الشيخ سيد مكاوى. ومجموعة المشايخ. ولاحظت ياسمين تكاسلى. وعدم استجابتى. فظنت أننى لم أصدق أن ترشيحى لهذا العمل إنما جاء من جانب شادية.

رن تليفون بيتى. وإذا بصوت شادية على الجانب الآخر تعاتبنى على تكاسلى فى تلحين «أسماء الله الحسنى» التى رشحتنى لها. لم أصدق نفسى؛ فقد كانت شادية قد امتنعت تماما عن الاتصال بالملحنين أو الإعلاميين. وهزتنى مكالمتها. وشحنتنى بقوة روحية عالية ولحنت «أسماء الله الحسنى» وكانت أول إشادة باللحن من شادية نفسها. والأهم أن علاقتنا قد عادت قوية ومنتظمة وهو مكسب كبير لى. حتى ولو كانت مجرد علاقة هاتفية فقط.

أجريت مع شادية الحديث الثانى وتكلمت فيه عن همومها المصرية وتعرضت لمشكلات الإرهاب والبطالة والفن الهابط. ثم كان السراب الثانى. وهذا هو الموضوع من أوله الذى أعقب هذا الحديث الصحفى معى:

عرفت طريقها إلى الله. فسارت فيه بكل الحب والشوق. واختارت موقع المتفرج من الفن الذى عاشت له ٤٠ سنة من عمرها. سطرت خلالها تاريخا حافلا مليئا بعظيم الأعمال. واستحقت عنه احترام الكبير والصغير. وكما كانت فى الفن، تعيش آمال وطنها. فهى مازال قلبها ينبض بحبه. ومازالت تعيش أوجاعه وأفراحه. وتؤكد أنها مازالت يسعدها أن تكون الفنانة شادية ثم إنها مازالت تعيش مشكلاتنا ويزعجها ما تعانيه من مشكلات الإرهاب والبطالة والسياحة والفن الهابط.

□ إزيك.. وعاملة إيه؟

– أعصابى الحمد لله الآن

وتعجبت: ماذا حدث للأسرة المصرية؟ أين الرقابة منها على أبنائها؟ إننى أطالب كل أئمة المساجد بإقامة صلاة مثل صلاة الاستسقاء. ولكن مرة كل شهر ندعو فيها الله أن يزيح الغمة عن بلدنا. فأنا أحب هذا البلد بشدة.

□ طلبتك منذ أيام فلم أجدك؟

– أظل بالمنزل أسابيع. وأحيانا أذهب إلى حديقة صغيرة أمتلكها فى منطقة الهرم. ويسعدنى هناك أن ألتقط كوز درة أو قرن بامية، وأحيانا أقضى يومى الخميس والجمعة فى باخرة سياحية يمتلكها ابن شقيقى. حيث أقيم فى «سويت» هادىء جدا. وألتقى هناك أحيانا بالناس فأسعد بهم.

□ هل تتابعين ما يحدث للسياحة المصرية؟

– لماذا نسافر نحن– المصريين– إلى بلاد الناس التى تشتم بلادنا. إنهم يصورون مصر وكأن كل شعبها يعيش على ضرب الودع. ومليئة بالذباب، والحمير ترعى فى شوارعها. هم لا يصورون العمران فى مصر والأحياء الجميلة. يصورون أسوان فيتجاهلون بواخرها العظيمة ويبرزون شكل المراكب «الكحيانة». ونحن نلهث إليهم فى بلادهم ونصرف فيها فلوسنا. لماذا لا نتجه إلى السياحة الداخلية. عندنا شواطىء فى الساحل الشمالى وفى البحر الأحمر. لا تعادلها شواطىء فى العالم كله. لماذا لا نمتنع عن السياحة إلى الدول التى تسىء إلينا.. لقد صرفنا مبالغ كبيرة فى السفر للخارج بحجة تشجيع شركات السياحة. فلماذا لا نصرفها من أجل السياحة الداخلية وفيها مناظر جميلة وشباب عظيم.

□ هل أنت سعيدة الآن فى موقع المتفرج من الفن؟

– لقد لقيت طريقا هو أحسن طريق صادفته فى حياتى. وهو طريق الله. وكنت أحب عملى جدا. وكنت أبكى لو توقفت عن العمل. وأنا الآن فخورة بتاريخى وسعيدة بكفاحى فى الفن والحياة.. وأكثر ما يسعدنى أن ألتقى بالناس كبارا وصغارا فأرى فى عيونهم كل التقدير لى. وأدعو الله كل يوم أن يزيدنى إيمانا بعد أن ذقت حلاوة طعمه.

□ وهل قاطعت أصدقاء الفن؟

– أبدا. أنا على اتصال دائم بصديقاتى (يرحم الله من مات وعاش منهن) فاتن حمامة. وتحية كاريوكا وليلى مراد وسامية جمال وزبيدة ثروت وهدى سلطان وليلى فوزى. وأيضا سهير البابلى وإن كنا لم نتصل ببعضنا منذ فترة.

□ وهل تتابعين الفنون؟

– طبعا. ولا تعجبنى الأفلام الجديدة، فقد كانت أفلامنا تعرض قصة فن جميلة تنتهى بزواج البطلة والبطل. الآن الأفلام تصور كل نسائنا راقصات وكل رجالنا يتاجرون فى المخدرات. أما النهاية فهى دائما بالدم. لقد رأيت فى أحد الفنادق فى مدينة جدّة أفلاما هالنى مستوى قصتها ونجومها، إنها أفلام تسىء لمجتمعنا كله.

لماذا لم تعد أفلامنا تقدم النصائح التى تتناسب مع طبيعة شعبنا وثقافته البسيطة.. على أن تكون غير مباشرة. زمان كانت أفلامنا تعكس عاداتنا وتقاليدنا وقيمنا. كل فيلم كانت قصته تبنى على جملة حلوة من القرآن الكريم. والقرآن هو الحقيقة. فلماذا لا تعود أفلامنا إلى هذا الصدق. فلا تدفع أحياءنا الشعبية لتقليد الحياة الأجنبية كما هو حاصل الآن.

وعن المسرح. أسمع ما لا يسر، وكله تقليد للأجانب.

وبالنسبة للغناء عندنا أصوات جديدة جميلة منها هدى ومحمد ثروت وعلى الحجار ومحمد الحلو ونادية مصطفى وسوزان عطية وكذلك عمرو دياب فهو لون جميل.

وتعجبنى موسيقى محمد الموجى (رحمه الله) ومن الشباب الملحن فاروق الشرنوبى، موهبة مبشرة، ومن الواضح أن الغناء العالمى اتجه مؤخرا إلى الصخب فهم يصورون الأغانى مصاحبة بمشاهد عنف ودم وقتل.

□ هل تدندنى بينك وبين نفسك؟

– طبعا. ما دام ربنا أنعم علىّ بصوت جميل. لماذا لا أدندن لحنا جميلا سمعته؟ كذلك أغانى زمان.

ـ ما هى ملاحظاتك على الغناء المعاصر؟

– يغالى فى التوزيع الموسيقى الذى لا يناسب غناءنا.. كذلك كثرة الغناء الراقص. وأنا أحب الغناء الملحن الذى يريح النفس ويثرى الوجدان.

ـ وهل تتابعين برامج التليفزيون؟

– خسارة إن التليفزيون عرض فيلمى «أضواء المدينة» مرة واحدة بالأبيض والأسود علما بأنه ملون ويجتمع فيه باقة جميلة من ألمع النجوم. عادل إمام وسمير غانم وحسن مصطفى. وهو من إخراج فطين عبد الوهاب.

ـ على ذكر أضواء المدينة. هل تتابعين حفلاتها؟

– بعضها.. وأعجبنى الحفل الذى غنت فيه سمية قيصر. وأسعدنى أن تعود لحفلاتنا كلمة «أعد».

ـ ونجوم الدراما المعاصرين؟

– لم يعد العصر يعطى فرصة للفنان ليقدم تعبيرا بوجهه أو أحاسيسه. لقد قضت تكنولوجيا الأجهزة. والسرعة على هذه المعانى الجميلة وسوف يطغى كل ذلك على فن التمثيل، هذا ما يحدث فى العالم كله.

ـ والنجوم الجدد؟

– تعجبنى جدا آثار الحكيم بفنها العاقل المريح. وأحرص على الفرجة على كل أعمالها. وأحب جدا مسرحيات عادل إمام ومحمد صبحى الذى أقدره جدا كفنان مثقف. كذلك المخرج كرم مطاوع (رحمه الله) وسهير المرشدى خاصة فى مسرحية «إيزيس» ودورها فى مسلسل «ليالى الحلمية». أما يحيى الفخرانى فهو يجيد كل الألوان. ويعيش داخل الشخصيات التى يمثلها ويقدمها بعظمة.

يعجبنى من الشابات. عبلة كامل وفايزة كمال ونياء الجداوى والأخيرتان لهما وجهان يشرحان القلب.

ـ وماذا يعجبك فى الفضائيات؟

– أتابع أخبار العالم على CNN ويغمنى ذلك لأنها مليئة بأخبار الدم والقتل. والدش. أتابع عليه – عندما يسمح لى الوقت – القنوات الإيطالية والفرنسية والتركية والإنجليزية. وقد ضايقنى جدا فيلم عرض بالإنجليزية على إحدى هذه القنوات

يسـيء لمصـر ويصورها متخلفة. وعندمـا تعرض هذه الفضائيات فيلمـا من إخراج عاطف الطيب وبطولة نور الشريف. يكون التعليق أن كل الأفلام المصرية للرفاهية فقط.

□ وكيف ترين شباب اليوم؟

– أرجو أن نهتم كمصريين بالشـباب. وقد اسـتمتعت فى أحد البرامج إلى شاب ذهب إلى سيناء لاستصلاح أرض. يطلب شيئا من الاهتمام. وأقول للمصريين إن هؤلاء الشباب فى حاجة إلى أفكاركم وخدماتكم. يجب ألا نلقى على الحكومة بكل أعبائنا. لماذا لا نقدم يد العون لشبابنا فنساعده لكى يعمل وينفض عن نفسه الاكتئاب. ونهزم البطالة. إننى أقترح المسـاهمة بشـكل شـعبى من أجل هذا الهدف الوطنى العظيم. فلنأخذ من كل مسافر ولو جنيها واحدا لهذا الغرض. فلنفرض أى مبلغ على كل عرس يقام فى فندق لنفس الغرض. إنه مشـروع لأبناء مصر. يسـتحق أن ننشـىء من أجله بنكا خاصا يوفر لهم الماء والتقاوى ليزرعوا أرض سيناء لتصبح جنة.

إن البطالة تدفع أبناءنا لممارسة أشياء ضارة. أقلها التعود على اللامبالاة والإهمال.

□ وبماذا تتبرعين لهذا المشروع؟

– أنا مسـتعدة أمسك ميكرفون وأمشى فى الشوارع، أدافع عن هذا المشروع وليكن اسمه «مشـروع الجنيه من أجل مصر» ومسـتعدة أن أقدم فقرات أى حفل فنى يقام من أجل هذا الهدف النبيل. لكننى لن أغنى طبعا. أما من الناحية المادية فسـوف أتبرع بما أقدر عليه إن شـاء الله. وسـوف يعيد ذلك للفن سمعته الجميلة عندما سـافرت أم كلثوم لتغنى من أجـل مصر وتجمع المال دون أن تمسـك بيدها جنيها مما جمعـت. وإننى لمتأكدة أن هذا الإحسـاس بالتكافل الاجتماعى سـوف يجد صدى عند كل المصريين، وليتبنّى التليفزيون هذا المشروع.

□ هل لك مطالب أخرى من التليفزيون؟

– نعم. فقد غنيت آلاف الأغنيات فى الأفلام واشتركت فى عشرات الحفلات. لكنهم لا يذيعون غير أغنية واحدة ويركزون عليها فقط. فلماذا لا ينوّع فى الأغنيات؟

□ هل تحضرين جلسات التدارس الدينى التى تقيمها الفنانات المعتزلات؟

– لا. الاتجاه إلى الله يكمن فى قوة الأخلاق لا بكثرة الكلمات. التدين ليس فى حاجة إلى دروس. إلا لو كنت ناوية أتخرج فى الأزهر الشريف. أنا ضد جلسات التدريس. فعندنا

الأزهر وعندنا العلماء الأجلاء ويجب ألا نسمع إلا منهم. إنما يمكن أن أحكي إحساسي لسائل لي عن الصلاة أو الزكاة. أو أركان الدين.

كما أنني أريد أن أقول إن في القرآن الكريم كل المعاني لكل الأزمان. لكننا الآن لا نستطيع أن نحاكي من عاشوا عصر الجاهلية في ملبسهم. ويجب عليك أن تحافظ على نفسك وسمعتك مع أن تعيش زمنك. والقرآن تعرّض لكل أنواع العلوم. كما تعرّض لها الرسول عليه الصلاة والسلام.

ـ وهل تحتفظين بشرائط كاسيت للدعاء؟

– من فضائل التليفزيون أنني تابعت برنامج فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي وهو من البرامج التي نبهتني لطريق القرآن الكريم. وأيضا برنامج «العلم والإيمان» للدكتور مصطفى محمود الذي دلل على عظمة الله بأشياء علمية لم نكن نعرف عنها شيئا.

ـ وأخيرا.. انصحيني؟

– القرآن هو كنزنا. وفي آياته علاج لهمومنا. والدليل هذه الآية من سورة «الشعراء» في الجزء التاسع عشر تقول: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ صدق الله العظيم

ـ□□ـ

أجريت هذا الحديث مع الحاجة شادية عام ١٩٩٣، فلما علمت منها مدى متابعتها للفن والحياة الفنية، والإعلام. استمعت فيها إلى تحليلات فنية. ونقد لبعض المسلسلات، طلبت منها أن تكتب لنا عمودا أسبوعيا نعرض من خلاله ما يعجبها وما لا يعجبها مما تشاهده وتتابعه ووافقت. لولا أن حدث ما لم يكن في الحسبان. فلم تنفذ اتفاقنا. وكان هذا هو «السراب» الثاني الذي رأيته مع هذه الفنانة العظيمة.

أما السبب وراء عدم تنفيذ الاتفاق فهو مهرجان القاهرة السينمائي الدولي الذي أعلن عن تكريمه لشادية بعد أن حصل على موافقة مبدئية منها. وقد اعتبرنا هذه الخطوة من إدارة المهرجان، موافقة. وقلنا إن شادية هي التي تُكرم المهرجان بقيمتها الفنية والإنسانية. وهي الفنانة المعتزلة الوحيدة التي لم تبعد عن العين والقلب ولم تنقطع عن قضايا بلدها

وهمومه. وكتبت فى هذه الفترة عن اتفاقى معها على الكتابة لنا أسبوعيا واقتراحاتها من أجل حل مشاكل البطالة والإرهاب. وغيرها.

وبينما سادت حالة من الارتياح عند الجماهير وإدارة مهرجان القاهرة السينمائى وكان رئيسه فى تلك الفترة سعد الدين وهبة. عادت شادية لتسحب موافقتها على التكريم. ومن الحياة العامة. وغيرت رقم هاتفها. وتفرغت لمؤسستها الإسلامية فى منطقة ميدان الرماية بالهرم. وحولت عنوان المراسلات الخاص بها إلى هناك. وفقدت علاقتى المباشرة بشادية الفنانة والإنسانة. كما فقدتها الحياة الفنية والإعلامية من قبل. وقيل إن السبب فى الاختفاء المفاجىء هو رأى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى (رحمه الله) الذى رجعت إليه لاستشارته فى قبول تكريم مهرجان القاهرة السينمائى الدولى. وقد أشار عليها برفضه لأنها أعلنت اعتزالها والظهور على المسرح للتكريم هو عودة والتفاف على الاعتزال وقال إما الاعتزال التام وإما العودة.

لم يكن هذا الحديث مع شادية هو اللقاء المسجل الوحيد بيننا عبر التليفون وبمعرفتها. إنما سجلت معها حديثا آخر عن بليغ حمدى بعد وفاته.. كلمتنى فيه بالتفصيل على علاقتهما وألحانه لها فى أنضج مراحل غنائها.

أما الحديث الأول الذى سجلته معها فى بيتها بالجيزة فقد تم فى سبتمبر عام ١٩٨٠ وأحتفظ به مسجلا على ثلاثة شرائط كاسيت. وقد ألحت فيه أن تحكى بصوتها مشوارها الحياتى والفنى. وكانت ترى أن ذلك لا يعد ضروريا وأن حياتها معروفة. وأعمالها موجودة فى التليفزيونات والسينما.. وهذا هو الحديث. علما بأننى - من باب الأدب - لم أشأ أن أسألها عن سنة ميلادها والتى يختلف حولها المؤرخون كالعادة. ولم يحددوا العام هل هو ١٩٢٩ أو ١٩٣١ أو ١٩٣٤.

زمان. كانت أغنياتها تعبيرا صادقا عن حب بنت مصرية دلوعة مكسوفة دائما. وتفرغت للسينما فقدمت أشكالا مختلفة لما تعانيه بنات جيلها فى واقعنا المصرى. وعادت لتملأ الدنيا غناء هو صلاة فى محراب «أم الصابرين» وقالوا إنها صوت مصر. وقالت: لا. بل صوت من مصر أو صوت بنت مصرية. أما صوت مصر فهو كبير كبير..

سألتها عن أسرارها الخاصة التى لا تتعلق بها كفنانة مبدعة رقيقة صاحبة تاريخ فنى يتفق عليه المختلفون. إنما كمواطنة مصرية صالحة عندما شربت من ماء النيل أحست أنه

من الجنة. ولما ذاقت طعم «الجميز» فضلته على التفاح الأمريكانى وأسعدتها مرجيحة عم صابر الإنشاصى أكثر ما سعدت بملاهى فيينا. أشهر ملاهى العالم (قبل إنشاء مدينة ديزنى لاند وفروعها فى أمريكا وبعض عواصم العالم). وحتى لما كبرت وأصبحت فنانة تملأ الدنيا تمثيلا وغناء. كان كل ما غنته انعكاسا لحب مصر حبيبتى وحبيبتها وحبيبتنا كلنا.

فى مدينة «أنشاص» بمحافظة الشرقية تفتحت طفلة اسمها «فاطمة أحمد كمال شاكر». والدها مهندس زراعى كبير ودائما جوال فى بلاد الله. وفى كل بلد يعيش مع الدواجن فى مزرعة تضم مسكنا صغيرا يسعه مع أسرته. وللمنزل شبابيك ستائرها حرير وحوله حديقة زاخرة بأشجار الفاكهة. أما أسرته فهى ماما وبابا والأولاد حسب ترتيب العمر: عفاف. سعاد. محمد. طاهر. فاطمة.

كبرت فاطمة. وأصبحت قادرة على التأمل فى معنى الأغانى التى تسمعها من الراديو. ولما تنفرد بنفسها تسكن مع نجمة بعيدة ومشغولة بحب جديد. تدندن فى أغنيات ليلى مراد. ولما أسعدها زمانها بمشاهدة أحد أفلامها فى السينما كانت تقفل على نفسها باب غرفتها وهات يا غناء ورقص انفرادى أمام المرآة.

مرة اكتشف والدها ما تفعله ابنته الصغيرة فاطمة.. تصورت أنه سوف يلبخها على طريقة الصعايدة أو يطردها من البيت أو يعلن أنه سوف يحرمها من الميراث. لكن شيئا من ذلك لم يحدث. فقد كان المهندس كمال شاكر بالدف ضاربا يحب الغناء وله صوت جميل ودائم الدندنة فى أغنيات محمد أفندى عبد الوهاب.

اشترى المهندس كمال آلة عود لابنه محمد ليتعلم العزف بواسطة مدرس. أما الهدف فهو مصاحبة فاطمة أثناء غنائها فى الجلسات العائلية والتى كان يحضرها ضيوفه من زملائه فى العمل أحيانا. واتفق مع مدرسين ليتناوبا تعليمها العزف ويحفظاها بعض الموشحات لتصقل صوتها.

فى القاهرة التى انتقل إليها الباشمهندس كمال. وفى حى عابدين المجاور للقصر الملكى. تغير الجمهور الذى يستمع لصوت فاطمة فى صالون المنزل وأصبح عبارة عن ١٣ بنتا فى سن المراهقة تصادقن معا. وأصبحت فاطمة الفرخة بكشك عندهن وصوتها هو أحلى شىء فى الحياة.

لكن أصدقاء الباشمهندس لم ينقطعوا عن زيارته والاستماع إلى صوت ابنته الصغيرة. كان واحدا من هؤلاء له علاقة صداقة مع من لهم الأمر فى استوديو مصر.. الذى يعتبر فى ذاك الوقت المصنع الرئيسى لفن السينما المصرية.

وأتركها لتكمل مشوارها:

أحببت الفن، وقد سبقتنى إلى ذلك أختى عفاف شاكر التى أحبت يوسف بك وهبى وعملت معه فترة بسيطة ثم اعتزلت.

أول من اكتشفنى هو المخرج أحمد بدرخان. لكن أول من قدمنى للسينما هو المخرج حلمى رفلة، وكانا صديقين. قال حلمى رفلة لبدرخان: اتركها لى لأشهرها لك. إلى أن تنتهى أنت من إعداد الفيلم الذى سوف تشترك معك فيه. وفعلا مثلتُ أول أدوارى فى فيلم «حمامة السلام» من إنتاج حلمى رفلة عام ١٩٤٧، ثم التقيت بالفنان محمد فوزى فى فيلم «العقل فى إجازة» وكان كل دورى فيه دويتو مع فوزى بعنوان «متشكر إيه.. متشكر ليه» ونجح الفيلم وكنت أذهب إلى دار سينما «رويال» - التى هدمت فيما بعد وبنى على موقعها مسرح الجمهورية - لأسمع تصفيق الناس لهذا الدويتو فى كل العروض.

ثم تكرر الظهور مع محمد فوزى فى أفلامه، «الروح والجسد» و «صاحبة الملاليم». وفيلما ثالثا لا أذكر اسمه، و «بنات حواء» ١٩٥٤، وغنيت من ألحانه أغنيات كثيرة منها «كترو الخطاب ع الباب يا أمه» و «أنا بنت حلوة ومهرى غالى».

وانهالت علىّ عروض السينما وكنت أمثل بالأربعة أفلام فى وقت واحد. وكان والدى ووالدتى يتناوبان مرافقتى ورعايتى؛ فيمدانى بالملابس والمأكولات والفيتامينات اللازمة لنموى. وكنت أتضايق عندما يصف البعض مرافقة أمى وأبى لى أنهما يحرساننى.

□ ومن أين جاء اسم «شادية»؟

- كنا حيارى فى اختيار اسم.. كانت الأسماء المعروفة أيامها فى الفن «نور الهدى» و«صباح». واستقر الرأى على تسميتى «هدى». وتعاقدت فعلا مع حلمى رفلة بهذا الاسم فى أول أفلامى، لكن بالصدفة وكنت مع والدتى فى زيارة لصديقة لها.. كانت الصديقة قد وضعت حديثا طفلة، كنت أراها جميلة وقد أحببتها جدا. الطفلة كان اسمها «شادية»، شعرت أم شادية بحبى لطفلتها فاقترحت هى أن أسمى نفسى «شادية». فكرت وأعجبنى

الاقـتراح وعرضته علـى والدى ووافق. وذهبنا إلى حلمى رفلة وغيرنا الاسـم فى العقد من «هدى» إلى «شادية» مع إنه كان قد نشر إعلانا صغيرا عن الفيلم واسمى فيه «هدى».

ـ هل يمكن أن نطلق على المرحلة الأولى فى مشـوارك السـينمائى مرحلة الشـقاوة فى التمثيل والغناء؟ ثم ما هو دور الملحن فى ذلك؟!

ـ البدايـة مـع محمد فوزى وقد علمنى كيف أنطق الكلمـات. ويرجع إليه الفضل فى تقديمـى فـى لون جديد يتميز بالطـرب مع خفة الدم. وربما لو كنت قد بدأت مشـوارى بألحان غيره لما تميزّت عن غيرى.

أما الموسيقار محمود الشريف فقدم لى ألحانا مصرية تشعر فيها بروح البلد. وتتذوق منها طعم ماء النيل وتشم فيها رائحة الأرض الطيبة.

وقدم منير مراد لى ألحان الشـقاوة وخفة الدم. أما أحمد صدقى فقدم لى الألحان المصرية التى تُشعرك عند سماعها بأنك فى فلوكة ممسكا بمجدافين.

ـ فن البنت الدلوعة. قلدتك فيه كثيرات؟

ـ إذا كنت تقصد ليلى نظمى وعايدة الشاعر. فأنا لم أغن الكلمات التى غنياها وكذلك لم أغن فى الأفراح طوال مشوارى إلا مؤخرا.

وكنـت أحب صـوت ليلى جمال وأبحث عنها ولم أجدها.. خسـارة. ويعجبنى صوت المطربة السكندرية «ضحى». وعندما استمعت إليها فى إحدى الحفلات شعرت أن صوتها من بلدى وأنى أعرفها من قبل. وشعرت كأنى أسير فى حارة مصرية.

ـ غاب صوتك عنا ٤ سنوات ثم عاد فى شكل تمرد على مرحلة الدلع والشقاوة؟!

ـ كنـت قـد مللت من تمثيل أدوار الحب التقليدى فى السـينما بعد أن مثلت عددا من الأفـلام، وفكرت فى التخلص منها بعدم تمثيـل الأدوار الغنائية التى غالبا ما تكون مكررة فـى فكرتها، وبدأت فى تنفيذ ذلك تدريجيـا. فمثلت فيلم «وداع فى الفجر» بطولة وإنتاج كمال الشـناوى وقد قللت فيه الغناء نسـبيا. ثم مثلت فيلم «ليلة من عمرى» بطولة وإنتاج عماد حمدى. فاختفى الغناء أكثر حتى جاءتنى الفرصة لتمثيل رائعة نجيب محفوظ «اللص والـكلاب» فقطعت علاقتى بالغناء السـينمائى. ولأننى أحب أدب نجيب محفوظ. أعيش مـع بطلات قصصه من المشـربية للحارة. مثلت كثيرا مـن رواياته منها «ميرامار» ثم مثلت من تأليف آخرين «الطريق» و «أغلى من حياتى» و «مراتى مدير عام» و «شىء من الخوف».

ولم أغن فيها باستثناء الأخير الذى غنيت فيه «يا عينى ع الولد».. واستخدمها المخرج كخلفية للأحداث، وغنيت «سيد الحبايب يا ضنايا انت» فى فيلم «المرأة المجهولة» عام ١٩٥٩. لكننى أكثرت فى هذه الفترة من الغناء من مختارات الإذاعة.

□ بمناسبة الغناء السينمائى. ما الفرق بين ليلى مراد وشادية ونيللى؟

– أفلام ليلى مراد. كانت بدون شك أحلى أفلام أيامها، ولم يكن ينافسها أحد فيها. وكانت ممتازة فى التمثيل والغناء معا. لكننى انفردت بأغانى الدلع. ثم اختلفت عنها بالظهور فى أفلام بدون غناء.

أما نيللى فهى فنانة خطيرة أعجبنى تمثيلها منذ شاهدتها فى المسلسل التليفزيونى «الدوامة». وهى أكثر من يصلح لتقديم استعراضات، فهى تتمتع بخفة دم ورشاقة وقدرة على التمثيل. ولو كانت فى «برودواى» – شارع الفن فى مدينة نيويورك الأمريكية – لأصبحت نجمة النجوم فى عالم الاستعراض.

□ من هو أقرب فتيان الشاشة قربا إليك؟

– كمال الشناوى، كنا طبيعيين معا، أخذنا على بعضنا، واتفقت أخلاقى مع أخلاقه وتفاهمنا. وزوجتنا الشائعات مع إنه وقتها كان زوجا لأختى عفاف شاكر التى تعيش فى أمريكا.

ومن فتيان الشاشة الذين أحببت العمل معهم شكرى سرحان.

□ تعاونك قليل مع رواد التلحين محمد القصبجى ومحمد عبد الوهاب ورياض السنباطى!

– غنيت من ألحان القصبجى فى فيلم «حمامة السلام» استعراض «إحنا بتوع الفن»، وغنيت فى فيلم «ليلة من عمرى» أغنية من ألحان رياض السنباطى هى «أحب الوشوشة» ورفضت الإذاعة كلماتها، ثم غنيت من ألحانه فى فيلم «حظك هذا الأسبوع» «٣ شهور ويومين اثنين» وأوبريت «لحن الوفا» فى الفيلم الذى يحمل نفس الاسم. فقد غنيت من ألحانه «أحبك» فى فيلم «إلحقونى بالمأذون» و«بسبوسة» فى فيلم «وادى الذكريات» وكانت معدة لتكون ضمن أحداث فيلم «زقاق المدق» وكان عبد الوهاب قد لحن لى أغنية يقول مطلعها «لا يا خويا داحنا فى رمضان.. لا مقابلة ولا حتى كلام» ورفضت الإذاعة كلماتها.

وتعليقا على كل ذلك أريد أن أؤكد أننى لم أكن أكلف الملحنين بالعمل فى أغنياتى إنما أتعامل معهم من خلال المنتجين فقط.

من ألحان محمود الشريف غنت شادية عددا كبيرا من الأغانى. وكانا صديقين. لحن لها من تأليف فتحى قورة أغنيات «يا نور عينيه وأكتر شوية». «ليالى العمر معدودة». «حبينا بعضنا». «برجالاتك». «يا ولاد حارتنا». «بين نارى وجنتى». «والله غلابة والله». «أحبه تانى يا قلبى ليه». «آه يالمونى فى هواك ظلمونى». «ودى فيها حاجة دى». «لو أغمض عينى وأفتحها». «شبكت قلبى وروحى وعينيه».

ومن تأليف محسن الخياط لحن محمود الشريف لشادية «مسيرك حتعرف» ومن تأليف كامل الإسناوى «حبه حبه يا حبيبى» ومن تأليف محمد على أحمد «أبيض يا وردى». ومن تأليف حسن عبد الوهاب «كسفتينى يا سنارة». ومن تأليف حيرم الغمراوى «يا بنت بلدى زعيمنا قال». ومن تأليف أبو السعود الإبيارى «مع ألف سلامة» و «إحنا الثلاثة» مع شكوكو وإسماعيل يس. وشارك حسن الإمام مع حسيب غباشى فى كتابة أغنية «آى لاف يو». وكتب لها كمال منصور «حكايتى وياك كانت حكاية» و«أكثر من الحب» وكتب عبد العزيز سلام أغنية «تحت البلكونة».

ومن ألحان محمد الموجى غنت شادية «شباكنا ستايره حرير» تأليف مرسى جميل عزيز و «بوست القمر» و «التليفون» وهما من تأليف عبد الوهاب محمد و«غاب القمر يابن عمى» تأليف مجدى نجيب. و «على شط النيل» تأليف على الباز. و «مين قالك تسكن فى حارتنا» تأليف حسين السيد.

وغنت من ألحان كمال الطويل دعاء «قل ادعو الله» شعر والده زكى الطويل. و«عاجبانى وحاشته» و «وحياة عنيك».

واحتكر بليغ حمدى صوت شادية فى فترة أطلقت هى عليها فترة النضج فى الغناء. غنت فيها وطنيات قوية. وشعبيات جميلة منها «قولوا لعين الشمس». «العنب». «البرتقان». «خلاص مسافر». «قطر الفراق». وباقى أغنيات الغربة والتغريب التى انتشرت عقب نكسة يونية ١٩٦٧ فى ألحان بليغ. ولحن لها فيلم «أضواء المدينة» ومسرحيتها الوحيدة «يا وسكينة».

ولحن سيد مكاوى لشادية «همس الحب»، «الدرس انتهى». أما خالد الأمير فلحن لها «اتعودت عليك»، «الحب الحقيقى». كما غنت من ألحان محمد على سليمان «أصالحك بإيه». ومن ألحان إبراهيم رأفت «طريق الحب».

واستحقت شادية عن جدارة لقب صوت مصر لمتابعتها غنائيا كل الأحداث التى مرت بها مصر. ولصدقها الشديد فى الإحساس بكل قضايانا الوطنية.

غنت «يا بنت بلدى زعيمنا قال» تأليف حيرم الغمراوى وتلحين محمود الشريف، «أمانة عليك أمانة» تأليف إسماعيل الحبروك وتلحين محمد الموجى، «عربى فى كلامه» تأليف مأمون الشناوى وتلحين منير مراد، «كلنا عرب» تأليف مجدى نجيب وتلحين محمد الموجى، «أغلى شعاع» تأليف محمود حسن إسماعيل وتلحين رياض السنباطى، «سبع سواقى» تأليف صالح جودت وتلحين رياض السنباطى، «مصر اليوم فى عيد» تأليف عبد الوهاب محمد وتلحين جمال سلامة، «يا أم الصابرين» تأليف عبد الرحيم منصور وتلحين بليغ حمدى الذى لحن لها أيضا «عبرنا الهزيمة» تأليف عبد الرحيم منصور، ولحن لها منير مراد «يا طريقنا يا طريق»، «بلد السد» الأولى من تأليف مجدى نجيب والثانية لحسين السيد، ولحن لها بليغ حمدى «يا حبيبتى يا مصر»، «ادخلوها آمنين». الأولى تأليف محمد حمزة والثانية تأليف إبراهيم موسى، «مصر نعمة ربنا» تأليف عبد الفتاح مصطفى وتلحين محمد الموجى، وأغنيتى «الأوله مصر»، «رايحة فين يا عروسة» تأليف نبيلة قنديل وتلحين على إسماعيل، «أقوى من الزمان» تأليف مصطفى الضمرانى، تلحين عمار الشريعى، «أبعت جواب م السويس». وشاركت فى أغنيات مجموع الفنانين التى لحنها محمد عبد الوهاب «قولوا لمصر»، «الوطن الأكبر»، «الجيل الصاعد»، «صوت الجماهير».

□ وماذا تعنى كلمة مصر عند شادية؟!

– تعنى كل شىء فى الدنيا. وأحلى حاجة فيها. سافرت كثيرا وفى كل مرة كنت أبحث عن أخلاق تشبه أخلاق المصريين أو طبيعة قلوبهم فلم أجد. وحتى من ينحرف منا تكون وراء ذلك ظروف أقوى منه. ومن يهاجر تفر دموعه إذا سمع اسمها فى الغرب.

□ يقولون أنتِ صوت مصر؟

– هذه حكاية صنعها متعهدو الحفلات. وأنا دائمة الاعتراض عليها. فأنا ممكن أن أكون صوتا مصريا أو بنت مصر. أما صوت مصر فهذا كثير علىّ.

لـ ولماذا أطلقوه عليك؟

– ربما لأننى عندما أغنى لمصر. أغنى بعشق. وأؤمن بأن المارشات العسكرية لها ظروف والله لا يعيدها. أما الغناء العادى ففيه أتغزل وأغنى من قلبى.

مثلا أغنية «يا حبيبتى يا مصر» كنت أشعر بأننى أصلى فى محراب مصر. خاصة فى المقطع الذى تقول كلماته «ولا شاف النيل فى أحضان الشجر».

ولهذا الموقف قصة: فأنا أسكن فى مواجهة النيل ويوجد أمام بلكونتى شجرة أحبها وأمشى كثيرا أمامها. ودائما أقول عنها «الشجرة بتاعتى». وعندما أكون على سفر أجد نفسى فى مناجاة لها. وعندما أغنى هذا المقطع أتخيل الشجرة بتاعتى. وقد كتب الشاعر محمد حمزة كلمات هذه الأغنية فى منزلى. فى وجود بليغ حمدى ولم تستغرق عملية الميلاد تأليفا ولحنا سوى ٢٤ ساعة فقط.

وبهذه المناسبة، فإن هذه الأغنية اختلفت عما سبقها من غناء وطنى عاطفى. فقد أعادت اسم مصر بعد غيبة طويلة كانت بلدنا تسمى الجمهورية العربية المتحدة. وكان هذا الاسم الغالى قد وحشنى جدا جدا. فهو بالنسبة لى موسيقى تهز كيانى ووجدانى.

لـ هل قدمتِ لمصر شيئا غير الفن؟

– أفديها بحياتى. فهى أمى وأبى وأرضى التى خرجت منها وإليها أعود. وما حدث يوما ما إنما حدث منى بلا وعى ولا شعور. وليس ضروريا أن يقال دائما. لكن بصفة عامة لا أحد يستطيع أن يسىء إلى مصر أمامى فى الخارج.

لـ وأم كلثوم؟

– كنت وما زلت أحبها بشدة. وكان لى معها لقاء تليفونى يومى فى تمام الساعة الثانية عشرة ظهرا. ولما رحلت كنت أجرى على التليفون فى نفس موعدنا المعتاد وكثيرا ما كان يغمى علىّ.

لقد تعب المتصارعون على مكانتها. أما أنا فبعيدة بلونى الخاص ولم أشاركهن الصراع. وهل كن فى انتظار رحيلها ليغنين. إنها لم تمنع أحدا، وكانت تظهر علينا كالقمر مرة واحدة كل شهر. رحمها الله، كانت محامية لى وكنت مطمئنة للفن فى وجودها.

لـ ما رأيك فى حالة الغناء بعد رحيل الكبار؟

– يجب أن يعود إلى مصريته. لابد أن نعود لأحاسيسنا المصرية الأصيلة. عندما كنا

نميز المصرى من ملامحه وملابسه وطول شعره. يجب ألا نجرى وراء الموضات فى الملابس والشعر وغيره.

وبعد رحيل الكبار، عندنا صوت محمد قنديل (رحمه الله) الذى لا يمكن إنكار قدراته وعمق تأثيره.

وكنت أحب صوت محرم فؤاد فى فيلم «حسن ونعيمة» وليته ظل على هذا اللون.

الأصوات الجديدة الممتازة موجودة بكثرة فى مدينة الإسكندرية، ويمكن أن نسمع هناك أصواتا لها شخصيات مختلفة. فلماذا لا تهتم بها إذاعة القاهرة خاصة أنهم فى الإسكندرية يشكون سوء مستوى الإمكانيات فى التسجيل. وكنت قد اتفقت مع إذاعة الإسكندرية على أن أذهب إليهم وأسجل لهم أغنيات بدون مقابل على أن يكون المؤلف والملحن والموزع والأستوديو من الإسكندرية. لكنهم عادوا ليقولوا لى إن الأستوديوهات عندهم لا تصلح!!

□ يقولون إنك تغامرين بالتعامل الفنى مع مواهب شابة فى التأليف والتلحين!

– أنا لا أستطيع أن أجد موهبة مصرية فى بلدى ولا أرعاها. ولو استمعت إلى نغمة أو كلمة جديدة جميلة من صاحب موهبة فسأقدمها فورا وفى ذلك فائدة له ولى أيضا.

□ يقولون إنك تفعلين ذلك لأسباب اقتصادية!

– أبدا. بدليل أننى لم أدفع فى حياتى لأى فنان مليما. والذى يدفع هو المنتج سواء فى السينما أم الكاسيت.

□ وما رأيك فى الشباب الذين قدمتيهم للحياة الفنية؟

– للأسف بعضهم يقدم لحنا لامعا فلما يذاع كثيرا يصاب بالغرور، فلا يلمع له لحن آخر.

□ هل معنى ذلك أنكِ ستتراجعين عن التعامل مع الجدد؟

– أبدا. وسوف أغنى من ألحان هانى شنودة. وأعتقد أن ما يقدمه هو محاولة للوصول إلى أغنية جديدة.

□ ولماذا لم تقفى إلى جوار الأصوات أيضا؟

– وقفت فعلا. وقد ساعدت هانى شاكر وأشركته معى فى حفلة، ولم يكن عنده غير أغنية «حلوة يا دنيا» ألحان محمد الموجى، فتنازلت له عن لحن «كده برضه يا قمر» لخالد الأمير وهو لحن بسيط وشعبى توقعت أن ينجح به.. ونجح.

كنت أغنى بمصاحبة الفرقة الماسية، ولما كثرت حفلات «أضواء المدينة» فى الستينيات لم أتمكن من إجراء البروفات اللازمة لى. خاصة أننى أجرى ما لا يقل عن ٦ بروفات على اللحن الواحد. فطلبت من المايسترو أحمد فؤاد حسن أن أستقل بفرقة خاصة ورحب بذلك. وأحضر لى بليغ حمدى فرقة عبد العظيم حليم، ومع الأيام حدث تسيب فأحضر لى عمار الشريعى فرقة حمادة النادى.

□ لماذا وافقتِ على الغناء فى ملاهى لندن؟

– لم أغنِ فى الملاهى طوال عمرى، وفى لندن لم أغنِ فى ملهى، إنما على مسرح ممتاز فى ديكوره وكل إمكانياته.. حتى الجمهور كان يجلس فى بلكونات مثل كل المسارح. وقد وافقت عندما تأكدت من مستوى هذا المسرح أولا، وثانيا لأن صاحبه كان صديقا وأعرفه منذ كان يعمل موزعا لأفلامى زمان.

□ لماذا رفضت «النقطة» فى حفل؟

– لأننى تقاضيت أجرى. فحاولت أن أرفض بذوق. فعملوا من «النقطة» عقدا من الأوراق المالية فئة العشرين جنيها وقلدونى به. فهززت كتفى بحركة خفيفة لتنزل العشرينات على الأرض.

بدأت شادية طريق السينما وهى طفلة واستمرت لمدة ٣٨ سنة. صورت خلالها ١١٧ فيلما. منها فيلم واحد لم يعرض تجاريا هو «رغبات ممنوعة» الذى تم تصويره ١٩٧٤.

وضربت شادية الرقم القياسى فى تصوير أعداد كبيرة من الأفلام فى السنة الواحدة. ففى عام ١٩٥١ صورت ١٢ فيلمًا هم: «مشغول بغيرى»، «ليلة الحنة»، «السبع أفندى»، «سماعة التليفون»، «فى الهوى سوا»، «عاصفة فى الربيع»، «القافلة تسير»، «حماتى قنبلة ذرية»، «أولادى»، «أشكى لمين»، «الدنيا حلوة»، «قطر الندى».

وفى عام ١٩٥٢ صورت ١٤ فيلما هى: «آمال»، «الأم القاتلة»، «بيت النتاش»، «مسمار جحا»، «غضب الوالدين»، «الهوى مالوش دوا»، «بشرة خير»، «قليل البخت»، «قدم الخير»، «بنت الشاطى»، «حياتى إنت»، «ظلمت روحى»، «غلطة أب»، «يسقط الاستعمار».

وفى عام ١٩٥٣ صورت ١٠ أفلام وهى: «حظك هذا الأسبوع»، «أنا وحبيبى»، «اشهدوا يا ناس»، «بين قلبين»، «كلمة حق»، «لسانك حصانك»، «بائعة الخبز»، «اللص الشريف»، «ماليش حد»، «موعد مع الحياة».

وفى عام ١٩٥٤ صورت ١١ فيلما هى: «بنت الجيران»، «أقوى من الحب»، «مغامرات إسماعيل يس»، «أنا والحب»، «بنات حواء»، «شرف البنت»، «الظلم حرام»، «اوعى تفكر»، «الحقونى بالمأذون»، «الستات مابيعرفوش يكدبوا»، «ليلة من عمرى».

وشادية هى الوحيدة فى السينما المصرية التى نجحت كمطربة، وأيضا كممثلة فى أفلام لا تغنى فيها. وهى الأطول عمرا بين نجوم السينما حيث بدأت بفيلم «أزهار وأشواك» عام ١٩٤٦ وختمت مشوارها السينمائى بفيلم «لا تسألنى من أنا» عام ١٩٨٤. وقدمت شخصيات كثيرة ومنوعة ونجحت فى تجسيدها، كما شكلت ثنائيات سينمائية مع نجوم كثيرة منهم كمال الشناوى وعماد حمدى وصلاح ذو الفقار وعبد الحليم حافظ وفريد الأطرش. أما أول بطولة لها فكان فى فيلم «ليلة العيد» ١٩٤٩.

قدمت فى أفلامها الأغنية المرحة الحقيقية وأغنيات المراهقات والاسكتش، والدويتو، والأغنية الحزينة.

وقدمت دور البنت الشقية المطلوبة أحيانا والمطموع فيها أحيانا أخرى واستمر ذلك لمدة عشر سنوات كاملة تمثل دور سندريللا المسكينة التى يطمع فيها الآخرون وفى ميراثها.

ويعتبر عام ١٩٥٤ نهاية الفترة الأكثر نشاطا فى المشوار السينمائى لشادية. وهى الفترة التى تفرغت فيها للسينما ولم تغن خلالها فى حفلات عامة وبعدها بدأت أدوارها تتغير لتجسد شخصية فتاة خاطئة فى فيلم «ليلة من عمرى» (١٩٥٤) وفتاة خاطئة (جدا) فى فيلم «شاطىء الذكريات» الذى غنت فيه «شبك حبيبى»، «أحب بكرة»، «ياللا ياريس» وكلها من كلمات فتحى قورة وألحان منير مراد.

وغنت مع عبد الحليم دويتوهات «تعالى أقولك»، «احتار دليلى»، «لحن الوفا» وكلها فى فيلم لحن الوفاء (١٩٥٥)، كما غنت معه دويتو «إحنا كنا فين» فى فيلم «دليلة» (١٩٥٦)، كما غنت دويتو «لو سلمتك قلبى» مع كمال حسنى فى فيلم «ربيع الحب» ١٩٥٦، ودويتو «يا سلام على حبى وحبك» مع فريد الأطرش فى فيلم «إنت حبيبى» عام ١٩٥٧، ثم غنت «حاجة غريبة» مع عبد الحليم حافظ فى فيلم «معبودة الجماهير» (١٩٦٧).

وفى فيلم «شباب امرأة» الذى أخرجه صلاح أبو سيف غنت «إوعى تسيبنى» و«وعد ومكتوب» من تأليف فتحى قورة وتلحين منير مراد.

استمرت شادية فى تقديم الأغانى فى أفلامها حتى عام ١٩٦٢ حيث بدأت أغنياتها فى الاختفاء التدريجى مع ارتباطها بالتوقف عن تجسيد دور «الدلوعة» وتحويلها إلى «البنت الخاطئة» التى جسدتها فى أفلام كثيرة منها «وداع فى الفجر»، «لواحظ»، «قلوب العذارى»، «الهاربة»، «المرأة المجهولة»، «لوعة الحب». وقد توقفت عن تجسيد شخصية مطربة الملاهى الليلية فى هذه الأفلام وغيرت أدوارها إلى الشر. فهى بنت ليل فى فيلم «لواحظ» وتغنى من تأليف فتحى قورة «أنا لواحظ»، «يا واد يا حيلة»، «اسكتش العرايس». وفى فيلم «حب من نار» ١٩٥٨ غنت «أحسن لها»، «يوبويو» وهما من الأغنيات ذات الطابع السينمائى.

نقلت الإذاعة العديد من أغنيات فيلم «ارحم حبى»، «خطابك كتير وقالولى»، «إن راح منك يا عين»، وهما من تأليف فتحى قورة وتلحين منير مراد.

وغنت شادية «سونة يا سنسن» فى فيلم «التلميذة» الذى غنت فيه أيضا «فوق يا قلبى» وغنت فى فيلم «الزوجة ١٣» «على عش الحب»، «وحياة عينيك». وفى فيلم «زقاق المدق» غنت «نو يا جونى نو». كما غنت فى أفلام أخرى منها «منتهى الفرح»، «شىء من الخوف»، «نصف ساعة جواز»، «أضواء المدينة»، «لمسة حنان»، «لا تسألنى من أنا».

وفى فيلم «المعجزة» الذى أخرجه حسن الإمام عام ١٩٦٢ لم تغن شادية. وهى بداية لظاهرة سينمائية فريدة فى السينما العربية. وقد أصبحت شادية امرأة ناضجة وممثلة قديرة يمكنها أن تستغنى عن الغناء. وهى قدرة خاصة سبق أن اضطلع بها فى السينما العالمية فرانك سيناترا وجون ترافولتا. وفى إيطاليا جونى هوليداى وإدريا نوشلنتانو.

وكانت شادية أنجح من قدم الأغنية الدرامية العربية، مستثمرة قدراتها الفائقة فى التمثيل والغناء. غنت أول أغنية تليفزيونية عربية وهى «مين قالك تسكن فى حارتنا» تأليف حسين السيد، تلحين محمد الموجى. إخراج محمد سالم. ثم غنت «أنا عندى مشكلة» لنفس المؤلف وتلحين بليغ حمدى. وهى سرد درامى لمشكلة فتاة وقعت فى الحب ثم «التليفون» تأليف عبد الوهاب، تلحين محمد الموجى، ثم «آخر ليلة» تأليف محمد حمزة، تلحين بليغ حمدى.

وتحتفظ مكتبة الإذاعة بأعمال درامية قامت شادية ببطولتها. هى مسلسلات «جفت الدموع» إخراج أحمد عبد الحليم. «نحن لا نزرع الشوك»، «صابرين»، «سنة أولى حب» والثلاثة أخرجهم محمد علوان، «الشك يا حبيبى» تأليف وإخراج سمير عبد العظيم وقامت ببطولة نفس القصة للسينما من إخراج هنرى بركات ١٩٧٩.

وإرادة الله ألا ترزق شادية بأطفال على رغم تكرار زيجاتها من المهندس أحمد فتحى. ثم الفنانين عماد حمدى وصلاح ذو الفقار. وكانت إذا حملت لا يتم حملها ويسقط الجنين قبل موعد الوضع الطبيعى بأسابيع.

ولم يمنعهـا ذلـك من الغناء عن الأطفال ولهم غنت «سـيد الحبايب يـا ضنايا أنت» فى فيلم «المرأة المجهولة» ١٩٥٩. ولما وقع العدوان الإسـرائيلى الغاشم على مدرسة «بحر البقر» الابتدائية بمحافظة الشـرقية وراح ضحيته عدد من الأطفال الأبرياء. غنت من تأليف صلاح جاهين وتلحين سيد مكاوى «الدرس انتهى لموا الكراريس».

كذلك غنت على شريط كاسيت عددا من أغنيات الأطفال من تأليف سيد حجاب وتلحين عمار الشـريعى هى: «مع بعضنـا». «حبّة.. حبّة». «كلوا بامية». «شمس بكره». سـوا.. سوا». «عيد الميلاد». «ناموا».

ولم تكن أغنيات شـادية الدينية كثيرة فى عددها لكنها عميقة فى إحساسـها الروحانى الصادق. غنت من ألحان كمال الطويل دعاء «قل ادعو الله إن يمسسك ضر» من تأليف والده محمود زكى الطويل. وقد صورته فى أحد أفلامها. وغنت «يا مقسم الأرزاق» تأليف مصطفى عبد الرحمن وتلحين على إسماعيل؛ و «شـهر الهنا» تأليف عبد السلام أمين وتلحين حلمى أمين. واختتمت مشوارها الفنى بأغنية «خد بإيدى» تأليف علية الجعار. تلحين عبد المنعم البارودى.

تربعت شادية على القلوب فى كل المراحل الفنية والعمرية التى مرت بها. اختلفت الناس على أهل الفن. وتحزّبوا حول الفنون؛ واتفق جميعهم على فن شـادية وسلوكياتها ووطنيتها وموهبتها وعطائها الكبير وصدقها مع نفسها ومع الناس. وبعد إعلانها اعتزال الفن بسنوات قليلة.. قالت لى إنها فخورة بتاريخها وكفاحها فى الفن والحياة. وإن أكثر ما يسـعدها أن تلتقى بالناس فترى فى عُيون الكبار والصغار كل التقدير لها؛ لكنها بعد أن مرت السـنوات على هذا الاعتزال رفضت إنتاج مسلسـل تليفزيونى عن حياتها وطلبت من الشـركة المنتجة عدم المساس بتاريخها وعدم التعرض لحياتها لأنها نسيت هذه الفترة من حياتها..

لكن الجماهير العربية لم تنس شادية. وقد أجمعت على حبها وتقديرها واحترام تاريخها.. ومين ما يحبش شادية؟

□□□